أنيس منصور

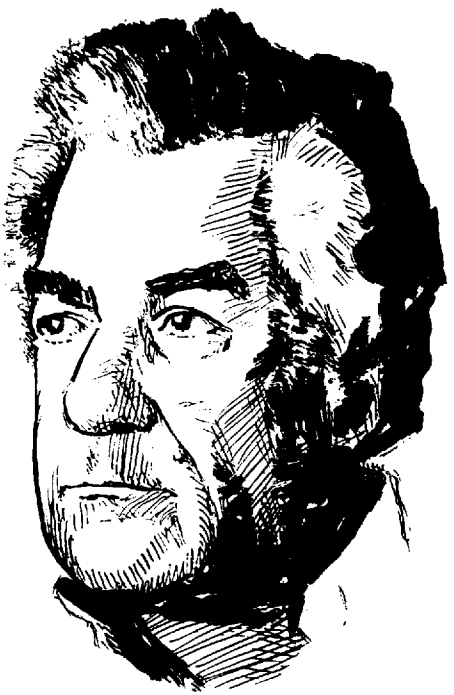

شاهد على عصر الحيرة

تاريخ التسجيل ١٩٨٧

★ رأى :

مـا الكاتب إلا عـرّاف حديث !!

★ حقيقـة :

تاريخ الإنسان .. هو تاريخ حريته !

★خارج المنافسة :

الأصدقاء كثيرون ولكن أبرزهم البحترى والبهاء زهير !

★حكمـة :

من الصعب أن تكون شاباً وأن تكون معتدلاً ..

إنمـا الشـباب تطـرف !

★ خلاصة :

العنف .. ظاهرة شـبابية !

★ خلاصة :

تغيير قواعد اللعبة دون إخطار سابق !

هـو المسـئول عن تنـاقض الكتّـاب !

شاهد على العصر قمة مصرية من قمم الفكر والإبداع . اشتهر ككاتب بأنه ضارب الأرقام القياسية فى التوزيع والجوائز ، وكصحفى استطاع الاقتراب من معظم زعماء العالم ، وكمفكر استطاع أن يلفت انتباهنا إلى فلسفة العصر ، لنا معه حوار نستطلع فيه شهادة نتوقع أن يكون لها مذاق كتاباته المتميزة .

●●● دور وهوية الكاتب فى هذا العصر :

ـ الكاتب هو مرآة لعصره بمعنى أنه أكثر الناس إحساساً بما يجرى أو لا يجرى فى مجتمعه ، والكاتب يقوم بدور العرّاف الحديث . . ففى العصور القديمة كان هناك عراف أو عرافة يلجأ إليهما الناس ليعرفوا مستقبلهم ، أما فى العصر الحديث فالكاتب هو القائم بدور العرّاف ـ مع عدم إيمان الناس بهذا النوع من التعريف ـ يعايش مجتمعه ، يصوره ، يعكسه ، وفى نفس الوقت يتقدم بما يستطيع من حلول . . رغم أن الكاتب ليس بالضرورة هو الطبيب الذى يشخص والذى يعالج لكن يكفى أن يشخص الداء ، وعلى الدولة أو الأجهزة الأخرى أن تتولى العلاج .

● **أستاذ أنيس أعتقد أن هناك عنصراً أنت لم تذكره من فرط بديهيته وافتراض أنه لا بد وأن يكون موجوداً عند هذه النوعية من الكتاب الذين تعنيهم وهو عنصر « الصدق » فالكاتب يكون شاهداً على عصره عندما يكون صادقاً .**

ـ هو المفروض أن يكون صادقاً ، ولذا كنت سأعود إلى كلمة « المرآة » . . فهناك أنواع من المرايا ، مرايا مكبرة ، مرايا مقعرة . ومرايا محدبة ، لكن المفروض أن يكون الكاتب مرآة لعصره ؛ أن يصدق مع نفسه وبالتالى يصدق مع الآخرين ، ومن هنا كانت فكرة « الإلزام والالتزام » فالكاتب الملتزم هو الذى يرضى ما ارتضاه المجتمع من صيغة سياسية أو دينية أو فكرية أو اقتصادية ، هو اقتنع بها ولذلك يجب أن يوضحها وأن يقنع الناس بها ، هذا هو الالتزام الأدبى ، وكل كاتب أو أديب أو مفكر ملتزم بقضايا عصره ، أما الإلزام فيكون حيث لا توجد حرية ، بمعنى أن الكاتب المُلْزَم هو من يكتب ليؤيد . . إذن هو ليس كاتباً إنما هو رجل التزم بقضايا حزب سياسى ، ورأى أن يعبر عن هذا الحزب أو هذه النظرية دون أن يكون مقتنعاً بذلك ، إنما أُمِرَ أن يكتب فكتب ، وأُمِرَ أن يصور فصور . . وهنا تنتفى عنه صفة الحرية التى لا بد من وجودها ليكون الإنسان مسئولاً عما يكتب لأنه :

« حيث لا توجد حرية لا توجد مسئولية » .

● **هل هذا ما يطلقون عليه « الرؤية المقيدة » ؟**

ـ لا أعرف هذا التعبير ، لكن أنا أرى فقط ، والذى أشعر به أراه ،

لكن يجوز كل رؤية مقيدة بالمجال ، لأنك لا تستطيع أن ترى كل شيء، لكن أنا أرى بوضوح ما هو أمامى ولا أستطيع أن أستوعب فى نظرتى كل قضايا العصر .

●●● قضية الإلزام والالتزام :

● هى كقضية من قضايا العصر يا أستاذ أنيس منصور أيضاً فرضت نفسها فى فترة من فترات التاريخ الفكرى والسياسى والأدبى الحديث فى مصر ، أعتقد يمكن فى الستينيات ، قضية « الإلزام والالتزام » وارتباط الكتابة بالاتجاهات السياسية القائمة ، فمثلاً كثير من القضايا الفكرية والأدبية والفلسفية التى مدت ظلالها على هذا القرن ولم تذكر فيها الكلمة الأخيرة حتى الآن ، فما تحليل هذه الظاهرة من وجهة نظرك ؟

- الالتزام والإلزام أعتقد أنها قضايا وجدت مع الحرية أو انعدام الحرية ، فأنا حر فى أن أنتقى من القضايا ما أشاء ، وفى أن أختار الأسلوب الذى أعبر به عن هذه القضية لأن تاريخ الإنسان هو تاريخ حريته ، كل ما نفعله على مدى التاريخ ليس إلا محاولة مستمرة للحصول على المزيد من الحرية ، أو لتوسيع رقعة أو عمق الحرية الفردية والحرية الاجتماعية ، يمكن نحن أخذنا فكرة الإلزام والالتزام بصورة أوقع وأوضح مما كتبته الفلسفة الوجودية . . لأن فكرة الالتزام بالفرنسية هى Engagement و بالإنجليزية Commitment . . أن الكاتب يلتزم بقضية من قضايا عصره وفى هذه الحالة يكون حراً ويكون مؤرخاً أيضاً

لأنه بحريته يؤرخ لعصره ، يمكن أن نكون أسرفنا على أنفسنا حتى فى الكتابة عن الالتزام فى خمسينيات هذا القرن ، بظهور الفلسفة الوجودية الفرنسية بخاصة ، كما كتبها ودعا إليها الفيلسوف الفرنسى «جان بول سارتر » و « ألبير كاميه » و « جبريل مارسيل » وغيرهم .

ولا انفصال بين حرية الكاتب والتزامه بقضايا مجتمعه ، يعنى مثلاً «سارتر » ألف كتاباً من ألف صفحة كى يهاجم كاتباً عظيماً ، فى حين أنه كان يستطيع أن يهاجمه فى صفحة واحدة ، لكنه قرر أن يهاجمه فى ثلاثة أجزاء ، وهو الكاتب الفرنسى العظيم « جوستاف فلوبير » . وكان رأى «سارتر» فيه أنه نموذج لما لا يجب أن يكون عليه الكاتب ، لأنه عاش عصره ولم يلتزم بقضاياه ، رجل تشرنق أو تقوقع ، وشعر أن فرديته تعادل فردية المجتمع ، وأنه سيد هذا الكون ؛ يستدعيه ويأمره ويفعل فيه ما يشاء ، ويرتب الكون كما يشاء بغض النظر عن مدى استعداد أو تهيُّؤ المجتمع لذلك ، ولذا رأى « سارتر » فى « فلوبير » كاتباً عظيماً ولكنه غير ملتزم .

●●● الفن من وإلى المجتمع :

● وكأنى أسمع نفياً من الأستاذ أنيس منصور لنظرية الفن للفن بهذا الكلام الذى قاله سارتر ، وأجدك تؤكده ، فأنت تتجاهل تماماً فكرة الفن للفن التى كانت أيضاً إحدى القضايا الرئيسية التى مدت ظلالها على هذا القرن ؟

ـ لا يوجد شيء اسمه الفن للفن ، الفن أن أكتب للناس ، أغنى للناس ، أؤلف موسيقى للناس ، فى جميع الأحوال يجب أن أتصور أن هناك طرفاً آخر أقوى ، بغيره لا أعيش ، بغير المجتمع لا حياة للفن ، بغير الناس لا حياة للأدب ، فالمجتمع طرف آخذ منه وأعيد إليه ما أخذت بصورة مختلفة ، الفن هو تكثيف وتنظيم للواقع ، عندما أكتب قصة أنا آخذ من مادة المجتمع وأوظفها فأستخدم حرفنة الكتابة فى صنع البداية والنهاية ثم أعيدها على المجتمع أكثر كثافة وعمقاً ونظاماً ، فيقرأها الناس ولا يستغربون لها . . لماذا ؟ . . لأنها حدثت لهم . .

ما أساس الأدب والمسرح والسينما ؟ كلها ما هى إلا أكذوبة متفق عليها بين المؤلف والقارىء أو بين الممثل والمشاهد ، فما أساس هذه الأكذوبة ؟ إنها لم تحدث ، المشاهد يعرف ذلك والممثل يعى ذلك ، لكن الممثل يمثلها ويعبر عنها ويوهمك أنها حدثت . وهنا تكمن مقدرة الكاتب أو الممثل أنه ينقل الكذب بمنتهى الصدق . . إذن القصة أو المسرحية أو الرواية هى أكذوبة متفق عليها بين المؤلف والمشاهد ؛ شيء لم يحدث مطلقاً لكنك ستشعر أنها حدثت ، لكن ماذا تعنى بالفن للفن؟ يعنى « اللى يطلع فى دماغى أعمله » ؟! يمكن يكون حدث هذا فى المدارس السريالية أو المدارس فوق وتحت الواقعية ، حدث أن أرسم الذى يخطر على بالى سواء فهمته أم لم أفهمه وهى القضية القديمة التى قامت أيام أبى تمام ، يقال له : « لماذا تقول ما لا يفهم ؟ » فيجيب

«ولماذا لا تفهم ما يقال ؟ » لكن الأصح أن يقول ما يفهم لأنك تتحدث مع الناس بشروطهم .

●●● مدارس فكرية وأدبية أجنبية فى مصر :

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور ، لقد ذكرت الآن المدارس السريالية وهذا يذكرنى بقضية اتصال مصر بالعصر واقترابها وابتعادها عنه على مدى تاريخها الحديث ، فهل وجدت هذه المدارس الفكرية والأدبية ـ والتى لها مظاهر فى العالم فى مصر ؟

ـ من المؤكد لأننا اليوم ونحن فى القاهرة نرى رائد الفضاء الأمريكى وهو ينزل على سطح القمر ، كذلك نشاهد مباريات كرة القدم فى البرازيل . . انتهت المسافات بين الشعوب ، وبذلك انتهت أيضاً العزلة العاطفية أو الوجدانية أو التجارب السياسية . . فنحن نعايش بعضنا البعض ونتأثر ببعضنا البعض . ومن الممكن أن نجد فى الأدب المصرى أو فى الفن المصرى أثر السريالية أو التكعيبية أو الحوشية أو التجريدية أو الرمزية أو الانطباعية والتأثيرية ، كل هذا ظهر فى مصر لأن وحدة الشعور أو وحدة الوجدان عند كل الشعوب واحدة . . الإنسان هو الإنسان فى كل الظروف ، الفارق الوحيد هو الغلاف الخارجى فقط أما فيما عدا ذلك فكلنا سواء ، ويبقى المذهب السياسى أو الأدبى أو الفنى على قيد الحياة فى أى مجتمع ما دام المجتمع محتاجاً إليه . . فإذا استغنى عنه تجاوزه . ولذلك كل المدارس الأدبية مدارس مرحلية يعيشها المجتمع

ويعيش بها حتى يكبر عنها ينزعها ويبحث عن زى فكرى آخر مثل ملابس الأطفال . . وأنت صغير تكون ملابسك صغيرة ثم تكبر ولذلك يقال : « شب عن الطوق » . . وقد جربنا فى الثلاثينيات والأربعينيات السريالية فى الرسم وفى الشعر وفى الأدب ثم جربنا الواقعية وظهرت أكثر على المسرح وفى السينما ثم مع بداية الخمسينيات ظهرت الفلسفة الوجودية على أقلام الأدباء والنقاد وإن لم يكن ظهر لها نظير فى المسرح أو فى السينما . . وبعد الفلسفة الوجودية التى تجاوزناها فى الخمسينيات والستينيات . ظهر مسرح اللامعقول فى مصر وهو مسرح جربته أوروبا وأساسه الشعور بلا معقولية الحياة وعدم جدوى الألفاظ، انتشر هذا الاتجاه فى مصر وظهرت مسرحيات العبث لأونسكو وبيكيت وآدموف وظهرت مسرحيات لتوفيق الحكيم أيضاً منها « يا طالع الشجرة » و«طعام لكل فم » وغيره وكلها مسرحيات عبثية ، لم يستسغها عميد الأدب العربى طه حسين ، واعتبرها إفلاساً فكرياً !

●●● الأصالة والمعاصرة :

● أستاذ أنيس منصور هل يأخذنا هذا الموضوع إلى قلب قضية الأصالة والمعاصرة ؟يبدو أن حوارنا اليوم سوف يدخل إلى هذه القضايا التى مدت ظلالها كما قلت من قبل على هذا القرن بأكمله ، أيضاً قضية الأصالة والمعاصرة والعقل والنقل ، فما شهادتك عليها الآن وما وصلت إليه قرب نهاية القرن ؟

ـ أولاً أنا لا أعرف ما هو المقصود بالأصالة والمعاصرة ، إنما هما كلمتان متلازمتان أصبحت لهما شعبية على أقلام الكتاب ، وأنا لا أفهم وجه المفارقة أو التقابل بين « الأصلى » و « المعاصر » . . فى اللغات الأوروبية هناك كلمة Originality بمعنى « أصالة » و authertic بمعنى « حقيقى » ، ما هو المعاصر وما هو الأصيل ؟ هل المعاصر ليس بأصيل ؟ لا ، من الممكن أن يكون معاصراً وأصيلاً . . ثم ماذا تعنى كلمة أصيل ؟ هل تعنى القديم؟ هل الأصلى هو الأصولى ؟ . . لا ، ليس الأصلى هو الأصولى وأنا لا أعرف إذا كان المقصود بالأصلى أو الـ Original الشىء الذى كان موجوداً من البداية ثم جاء عليه حين من الدهر ولم تعد له سوى قيمته التاريخية، مثل الأحجار ، النقوش الصخرية أو الرواسب ، الكائنات البحرية الحية ، إن كان هذا هو القديم . فيجب أن يظل على قدمه ونتركه لنبحث عن شىء جديد يعايشنا ويتمشى مع احتياجاتنا . . تجد مثلاً حجر رشيد وهو شىء قديم استطاع شامبليون أن يجعله معاصراً له فى القرن التاسع عشر وهو قديم عمره ألوف السنوات ولكن استطاع شخص موهوب أن يعيد قراءته ويجعله معاصراً بما كشف فيه من ألغاز اللغات القديمة ، والهرم نحن نراه كما هو حتى جاء شامبليون وفسر لنا ما نرى ، كل هذا له معنى واحد وهو أن تجعل قديمك له دلالة حديثة إن صح هذا التعبير . . أى أن نجعل الأصيل معاصراً أو نقوم بعملية تحديث Modernization أو ما يسمى Upgreeding أو Updating فى اللغة الإنجليزية أى تجعل قديمك معايشاً لك .

● **هل حاول الكاتب الكبير أنيس منصور إعادة قراءة القديم برؤية جديدة ؟**

ـ والله يا سيدى العزيز أنا أجد فى تجاربى اليومية فى القديم جديداً . . يعنى أنا مثلاً لا أمل قراءة شعر البحترى أو البهاء زهير ـ وهو من أظرف وألطف الشعراء على الإطلاق ـ ولا أشعر بأى فارق لا زمنى ولا لغوى ولا عرقى ولا أى شىء بينى وبين هذين الشاعرين ، أنا أقرأه وأستمتع به ولا أسأل نفسى إن كان معايشاً أو ليس معايشاً لأنه استطاع بعبقريته وفنيته أن يتجاوز الأجيال ويصل إلى القرن العشرين كأنه معايشٌ أو معاصرٌ له .

● **أستاذ أنيس منصور هل توافق على حاجتنا إلى قراءة جديدة لتاريخنا ولما مضى ، وأن نعيد تحليل الأشياء برؤى جديدة ؟**

ـ كما يحدث فى مجال العلوم أو على الأصح كما يحدث فى مجال الجيولوجيا ، فقراءة الصخور أو الأحجار مستخدمين أدوات حديثة يجعلنا نرى شيئاً جديداً مثلاً ؛ كيف لنا أن نعرف أعمار الصخور أو الأشجار أو المعادن ؟ وكيف عاشت ومتىّ نقشت ؟ نحن نحول جزءاً من هذا المعبد إلى كربون ١١ ، ١٥ ومن هذا الكربون نحصى عدد الذرات التى تآكلت وبذا نصل إلى عمره . . إذن نحن نستخدم وسائل حديثة لاقتفاء رموز الواقع ، على سبيل المثال نجد فى التوراة سفراً قديماً اسمه « سفر حزقيال » فى هذا السفر يروى هذا النبى أنه كان يمشى

بالقرب من مدينة بغداد أو من الموقع الذى يعرف الآن باسم بغداد ، وفجأة نزلت من السماء سفينة لها بكرات وأضواء وضوضاء ولهيب من الخلف ومن الأمام، ونزل من السفينة شخصان مع جلجلة وصخب ، وهو وصف ينطبق على أى سفينة فضاء الآن . . وقرىء هذا السفر عبر مئات السنين وفُسّر تفسيراً واحداً وهو أن ما وصفه حزقيال ليس إلا نبوءة علمية لما سوف يحدث فى مستقبل الأيام . لكن عندما دخلنا عصر الفضاء واصطنع الإنسان سفن الفضاء وصنع له زى الفضاء ورأينا رواد الفضاء ، لم يكن من الصعب على العلم الحديث مقارنة ما حدث الآن وما حدث أيام حزقيال وانتهائه إلى هذه النتيجة ، وهى أن ما وصفه حزقيال ليس نبوءة لكنه واقع وقع وحدث . إذن ما حدث فى هذا الكتاب القديم أو ما روى وما فسر على أنه حلم أو نبوءة عندما دخلنا فى العصر الحديث وأعدنا النظر فى التاريخ القديم سواء فى هذا السفر أو غيره بالأساليب الحديثة وما وصل إليه العلم ، إذا بنا نكتشف أن شيئاً جديداً وقع أو شيئاً جديداً اهتدينا إليه ، فماذا حدث ؟ . . ما حدث هو ـ إذا كان لى أن استعير التعبيرين غير الواضحين أمامى وهما الأصالة والمعاصرة ـ أننا بالعلم الحديث وأدوات البحث الحديث استطعنا أن نمد فى عمر القديم ونجعله معاصراً لنا .

● **لو أذن لى الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور بمساحة من الاختلاف مع ما ذكرته الآن ، لأنى أرى فيه بعض التناقض مع ما تنادى به فى الأيام الأخيرة فى سلسلة من المقالات فى الأهرام حول النظرة العلمية**

المطلوبة للنهضة الحديثة والتى من أهم شروطها اعتماد العلم والتكنولوجيا الحديثة ، وعدم النزوع إلى الرواسب الأسطورية فى حياة الإنسان ، لا أعرف هل أنا محق فى هذا أم مخطىء ؟

ـ ليس فى كل ما ذكرت شيئاً واحداً يمكن أن يوصف بأنه أسطورى ، الأشياء الأسطورية تجدها فى الكتب القديمة عندما ترجع مثلاً إلى كتاب «ألف ليلة وليلة» تجد كلاماً عن الكائنات الغريبة وعن الرخ والبيضة والحيوانات التى يتحول بعضها إلى بعض . . أو فى ملحمة «جلجامش» عن البطل الأسطورى الذى ارتفع بعيداً عن الأرض ونظر إليها من فوق ثم عاد إلى الأرض مرة أخرى . . أما قصة الطوفان فهى موجودة فى كل الكتب القديمة بأشكال مختلفة ؛ فما من بقعة على الأرض إلا ووقع فيها طوفان وظهرت فيها سفينة نجى بعض من عليها ، فنوح عليه السلام ليس إلا آدم الجديد أو آدم مرة أخرى ، هذا موجود فى الكتب ، والذى حدث أن العلم الحديث حقق لنا ما كان يعد من باب الخرافات . . اقرأ مثلاً ما جاء على لسان عيسى بن هشام للمويلحى وقد رأى أشياء ساذجة جداً وكان مبهوراً بها ، فلو عاش عيسى بن هشام ورأى ما وصلنا إليه لخـرّ صريعاً ميتاً لأن ما تصوره على أنه خرافة أصبح الآن حقيقة .

من يتصور أن أحدهم ينزل على سطح القمر ؟ لو عدنا إلى الوراء قليلاً وفكرنا كما فكر عيسى بن هشام لتولانا الفزع والموت . . إذن ما قلته عن أن العلوم الحديثة وفرت لنا وسائل جديدة لمعرفة ما كان يظنه الإنسان خرافة ، يكون ما يحدث الآن ليس تأكيداً على الخرافة إنما هى

محاولة علمية لإعادة النظر والفهم وقراءة ما حدث قديماً ولم نكن نفهمه ، إلى شيء جديد نفهمه أو يتقبله العقل .

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور فى رصدك لسمات الإنسان المعاصر قلت فى بداية هذه الشهادة أن أبرز ما يميز هذا العصر هو نزوعه إلى حصوله على حريات أكثر ، فماذا أيضاً يميز إنسان العصر من وجهة نظرك ؟

ـ لا بد أن نضع فى الاعتبار ما أصاب الإنسان من خيبة أمل فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فقد أدت الحرب العالمية الثانية التى أودت بحياة خمسين مليوناً من المتحضرين الأوروبيين إلى أن يشعر الإنسان أمام نفسه بأنه ليس بشراً وإنما هو وحش شديد التوحش كالسائمة ، يدفعه بعض الزعماء المجانين أو أصحاب القوى الخارقة التأثير على الجماهير إلى أن يفقد إنسانيته ويصبح بلا عقل أو منطق ، هذه الحرب أصابت الإنسان بخيبة الأمل ، فقد كانت آماله عريضة فى أن ينجو من حيوانيته وأن يكون متحضراً ، فإذا بعلمه الحديث ونظرياته الجديدة تعيده مرة أخرى إلى عصر حيوان الغابة أو حيوان الكهف . فكان من مصادر الشعور بخيبة الأمل هذه أن ظهرت فلسفات متشائمة تعبر عن هذا الشعور باليأس والمرارة ، ربما كانت أبرز هذه النظريات التى عبرت عن هذا الشعور هى الفلسفة الوجودية أو بعض الفلسفات الفردية أو على الأصح الفردانية . . وأيضاً بعض المذاهب الفلسفية الشخصية أو الشخصانية . . بمعنى أنه خاب أمل الإنسان فى الدولة وفى الحزب وفى

المجتمع وفى الجمهور ، فانسحب فى مواجهة الكل يؤكد ذاته وفرديته وذاتيته وشخصيته . . فهذه المذاهب بهذه الصور كانت نوعاً من الغضب أو السخط أو التعويض ، تعويض الفرد عما لحقه من ذوبانه فى المجتمع . مثلاً الفيلسوف ماركيوز له كتاب اسمه « ثورة الجماهير » هذا الكتاب يقارن فيه بين الصرصار وبين المجتمع ، يقول لك : الصرصار الواحد له شخصية محددة ؛ له أجنحة وأرجل وأنف وخياشيم وجهاز عصبى محدد ، من الممكن أن تراه بمنتهى الوضوح ، لكن المجتمع كلمة كبيرة ليس لها أى ملامح محددة . . فهذا الفيلسوف الأسبانى الذى أشاد كثيراً وطويلاً وعميقاً بفردية الإنسان فى مواجهة ذوبان الفرد فى الدولة أو ذوبان الفرد فى المجتمع أو فيما ليس محدوداً فكانت هذه المذاهب ردة أو رد فعل عن قدسية الدولة أو قدسية الحاكم ، يعنى عندما تنظر إلى واحد مثل هتلر أو موسولينى ، أنت أمام وثن نصبه المجتمع إلهاً وعبده ، وبعد ذلك شكا من ظلمه البين له ، ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهرت هذه المذاهب وتألقت تماماً كما يتألق قوس قزح على سحاب أسود ، وكانت بهذا الشكل نوعاً من التعويض أو من تأكيد الذات ورد الاعتبار فى مواجهة ضياع الاعتبار فى مواجهة الفاشية والنازية .

●●● غضب وسخط الشباب :

● **الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور يمكن وجود ملاحظة عابرة أن معظم من قادوا هذه المذاهب الفكرية والفلسفية والفنية والتى ذكرتها**

على مدى هذه الشهادة كانوا من شباب العالم شرقه وغربه ، ماذا عن شباب مصر وإسهامهم فى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية والأدبية ؟

ـ الغضب والسخط من صفات الشباب فى كل التاريخ من أيام ابن نوح عندما لم يطع أباه « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ولم يكن هناك جبل فغرق ، يعنى فكرة تمرد جيل على جيل أو سخط جيل على جيل من سمات كل الأجيال وستبقى من معالم التاريخ . من سمات هذا العصر وكل عصر ، أن كل الثورات قام بها شباب عندهم شجاعة وعندهم خيال ، وحاولوا أن يجعلوا من الخيال واقعاً بأسرع ما يمكن ليقفزوا بالمجتمع بعده إلى حلم آخر ، وهكذا الثورة الفرنسية والأمريكية ، والسوفيتية ، والثورة المصرية ، كلهم شباب ساخطون أو غاضبون على مجتمعهم ، ثم مزجوا بين هذا الغضب وبرنامج للعمل أو تصحيح المسار السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى عصر من العصور وهكذا . . !

وليس غائباً عنا أن الشباب الذى قاد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كلهم كانوا فى الثلاثينيات . وسوف يظل الشباب هو القوة المحركة للتاريخ لأنهم أكثر الناس حساسية للواقع وأكثر الناس تطلعاً للمستقبل وأكثر الناس حرصاً على أن تصبح المسافة قريبة بين ما يحلمون به وبين ما يتمنونه أو ما يمكن تحقيقه فى مجتمعنا . ولأن الشباب أكثر حساسية فهم أكثر عصبية وأكثر تطرفاً ، لأنه فى سن الشباب من الصعب أن تكون

شاباً وأن تكون معتدلاً ، أو من الصعب أن تكون شاباً وأن تكون متوازناً، إنما الشباب تطرف . . نعم أو لا . . لكن لا يوجد ربما ، ويجوز ، وحيث أن، ومثلما، قلت لك: إنه فى أعقاب الحرب العالمية الثانية التى سحقت العالم كله وهزته بالمدافع والقنابل الذرية وكانت لها جذور وامتدادات فى فيتنام وطبعاً فى الشرق الأوسط بين العرب وبين إسرائيل أيضاً وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى ووعد بلفور والتقسيم إلى آخر القصة التى نعيشها ، منذ أربعين سنة ، حدث فى العالم كله أن المجتمعات الأوروبية كى ترفع نفسها من الأنقاض المادية والعقائدية راحت تبنى لها قصوراً وكهوفاً فوق هذه الأنقاض ، لذلك ظهرت مذاهب فوق مذاهب ، ولذلك أول ما يبدو عادة من الإحلال والإبدال كما نقول فى لغتنا الحديثة، هو نوع من التجديد أو الترقيع ، إنك ترى شيئاً قديماً ، وبدلاً من الاستغناء عنه تصلح من أمره ، وهو ما يسمى بالتعصير . . ومن مظاهر التعصير أيضاً ومما يدل على ضعف الفكر وبعده عن التعمق ما ظهر فى أوروبا من مذاهب توفيقية أو تلفيقية ، يعنى ليس عندى شىء جديد أقوله فأضيف من هنا إلى هنا ، أختار وأوفق وألفق ، فظهرت فى أوروبا مذاهب فى الأدب والفلسفة والسياسة، مذاهب توفيقية وتلفيقية ، وهذه مواقف مؤقتة إلى أن نستطيع أن نأتى بالجديد ، انظر إلى الشباب تجدهم فى أوروبا كلها وخاصة بعد سنة ١٩٥٦ ، نجد فى انجلترا بصفة خاصة وبعد العدوان الثلاثى ظهر أدب الشباب الساخطين أو Angry Youngmen وكان الأدب أدباً

غاضباً على المؤسسة أو على الدولة أو على ما هو تقليدى فى المسرح وفى الرواية ، وفى الشعر ، فهؤلاء الشباب أو أكثرهم لم يكمل تعليمه الجامعى أيضاً ، كان هدفهم أن يأتوا بجديد ما فنجد مثلاً ما سمى بالخنافس The Beatles ، مطربين من الريف من شمال البلاد عندهم فكرة جديدة فى تأليف الأغنية ، فكانوا يألفون ويلحنون ويغنون . . ونحن عهدنا أن الأخوين رحبانى يؤلفون ويلحنون الأغانى ، لكن هؤلاء أضافوا أيضاً الغناء إلى ذلك . . ولم يعرفوا أى ثورة أحدثوا ، لأول مرة فى تاريخ الغناء نجد أن الأغنية الانجليزية تحتقر المسرح والميكروفونات فى مواجهة السيطرة أو السلطنة الأمريكية على عالم الأغنية والرقص . هذا شىء ، شىء آخر أنه لأول مرة فى تاريخ الأناقة والأزياء تحتكر لندن الشياكة والأناقة ، منتزعة هذا العرش من باريس ، فظهر الميني جيب وقدمته الآنسة كونت التى استحقت أرفع النياشين فى انجلترا هى والخنافس . . هؤلاء الشباب لم يعرفوا عمق الثورة الفنية أو المال الذى دخل بلادهم عن طريق السياحة أو التجارة إلا فيما بعد .

بعد ذلك ظهر المسرح ، كل المسرح كان ثورة على برود واى الأمريكية، عندما أصبحت لندن كعبة للفن المسرحى منتزعة الفن من المسرح الأمريكى والفرنسى . وبعد ذلك ظهر نوع من أنواع الاحتجاج على المجتمع والتقاليد الاجتماعية ؛ تجد الأولاد يلبسون ملابس البنات ، والبنات يرتدين ملابس الأولاد ، كل النصائح التى يقولها الوالدان

تذهب سدى ! . . قصر شعرك والشعر لا يقصر ، عد إلى البيت ، لا عودة بل والنوم فى الحدائق وهكذا .

ثم ظهر الهيبيز وغيرهم ، كل هذه أسماء لدرجات من السخط على المجتمع ، هذا السخط بلغ درجة أعلى بشكل منظم فى حزب الخضر فى ألمانيا . شىء آخر ظهر فى المجتمعات الأوروبية وهو العنف السياسى أو الدينى أو الإرهابى، وقد سمعنا عن المفكر صاحب القلم والقنبلة ، بمعنى أن له مذهباً سياسياً يعتقد أنه المذهب الأصح وأنه وحده القادر على أن ينفذه بالقوة ، وبذا أصبح العنف ظاهرة شبابية فى العالم كله .

● فى العالم كله ، لكن يمكن أن يكون أكثر وضوحاً فى منطقتنا ؟

ـ هو فى العالم كله ، هناك عنف دينى وسياسى وإرهابى وهناك المافيا وهى نوع من العنف لا هو سياسى ولا دينى إنما هم مجموعة من مهربى المخدرات . . أما فى الشرق الأوسط فقد اتخذ العنف شكلاً سياسياً ، لكن هذا العنف رغم أنه صارخ وواضح إلا أنه لا يحل القضية ولا يلقى من العالم كله الآن أى احترام أو تقدير ، بل أصبح الناس الذين يستخدمون العنف إرهابيين سفاحين ، قتلة . . وأدى ذلك إلى عكس ما يريدون ، وهو أن العالم لم يعد يتعاطف معهم بل ويرى أن عنفهم هذا عمل غير مشروع وغير إنسانى أو حضارى .

●●● شهادة فى سطور :

● الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور وقد اقتربنا من نهاية الشهادة كيف تصف هذا العصر الذى نعيشه فى سطور قليلة ؟

ـ لكثرة النظريات المتطرفة والنظريات التوفيقية والنظريات المعتدلة والنظريات التى تشكل نوعاً من الإحلال والإبدال لنظريات قديمة والترقيع وغيره ، ولذا فهناك مشكلة وهى أن المفكر عنده إحساس أن عامة الناس لم تعد قادرة على استيعاب قواعد اللعبة السياسية والاجتماعية أو الأدبية والفكرية ، مثلما تكون جالساً فى استاد وهناك فرق كثيرة تلعب ، ورغم أنهم يلعبون لعبة واحدة إلا أن كل فريق يتكون من عدد مختلف عن الآخر . . المشكلة التى نعانى منها هى أن لكثرة تغيير قواعد اللعبة السياسية أو الاجتماعية ، لم يعد الإنسان المعاصر قادراً على الاستيعاب ، أو على أن يأخذ جانباً ويتحمس أو لا يتحمس أو يحاول أن يفهم . فى أواسط أفريقيا فى بعض القبائل المعزولة تماماً تجد أن المواطن كل يوم يغير اسمه بدون إشهار أو إخطار ، فالذى يحدث الآن أن كثيراً من الأفكار والنظريات أو المعتقدات أو الفرق تغير قواعد اللعبة دون إخطار سابق ، لا للاعبين ولا للحكام ولا المتفرجين وهذا هو مصدر الحيرة فى هذا العصر .

● هذا على المستوى العالمى الذى حلق بنا فى أجوائه الكاتب الكبير أنيس منصور ، لو هبطت طائرة تحليقاته إلى مصر ماذا تقول فى سطور قليلة عن واقعها ؟

ـ أولاً أنا لم أحضر من بلد آخر لأهبط فى مصر ، أنا منطلقى مصر ، الصورة التى أراها فى مجتمعنا أننا نحاول قدر استطاعتنا أن نتفق على قواعد واحدة ثابتة متينة أكيدة للّعبة الاجتماعية والسياسية فى بلدنا . .